

## سؤال غريب

من أجمل ما سمعت وقرأت عن الشاعر محمد اقبال قوله، إنه كان في صغره يقرأ القرآن بعد صلاة الصبح، وأن والده كان يراه على هذه الحالة، فيسأله ماذا يصنع؟ فيجيبه أنه يقرأ القرآن، وتكرر السؤال عدداً من الأيام... وتكررت الإجابة على السؤال نفسه، وذات يوم تجرأ الولد وسأل أباه: ما بالك يا أبي تسألني كل يوم السؤال نفسه واجيبك جواباً واحداً ثم لا يمنعك ذلك من إعادة السؤال من غد؟!... وهنا يجيب الأب: إنما أردت بذلك يا ولدي أن أقول لك، أنك لا تكون قد قرأت القرآن إلا إذا قرأته وأنت تشعر أنه ينزل عليك الآن، كما كان يفعل الصحابة رضوان الله عليهم حينما كان رسول الله ﷺ يقرأ عليهم منازل عليه من الآيات فينبرون إلى فهمها وتطبيقها وهكذا كانوا يفعلون كلما أعادوا قراءتها.

تقول عائشة رضي الله عنها (رحم الله نساء الأنصار عندما نزلت آية الحجاب وهن بالمسجد شققن مروطنهن وتسفعن بها) لم يسوفن ولم ينتظرن العودة إلى الدار لتهيئة اللباس. وعندما تكلم مسطح ابن خالة الصديق في عائشة رضي الله عنها في حادث الافك، أقسم أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه سيقطع عنه النفقة التي اعتاد منحها له فنزلت الآيات ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعضوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم﴾ (١) فقال

(١) النور ٢٢.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه (بل والله أني لاحب أن يغفر الله لي وأعاد النفقة إلى مسطح وقال لن انزعها منه أبداً)<sup>(٢)</sup>.

وعندما نزلت ﴿لن تنالوا البرَّ حتى تنفقوا مما تحبّون...﴾<sup>(٣)</sup> قال أبو طلحة يارسول الله، إن الله يقول (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، وإن أحب أموالي إليّ (بیرحاء)<sup>(٤)</sup>، وإنها صدقة لله أرجو بها برها وذخرها عند الله تعالى فضعها يارسول الله حيث اراك الله، فقال النبي ﷺ . . . بخ بخ . . . ذاك مال رابح، ووضعها ﷺ في الاقربين<sup>(٥)</sup>.

وفي الصحيحين أن عمر رضي الله عنه قال يارسول الله لم اصب مالا قط هو أنفس عندي من سهمي الذي هو بخير فما تأمرني به قال أحبس الأصل، وأسبل الثمرة . . . وبأعمال مشابهة قام عدد من الصحابة رضوان الله عليهم إستجابة لهذه الآية.

ولا يسع المجال لذكر المزيد من الأمثلة التي لا تحصى في كيفية تفاعل الصحابة، وتعاملهم مع التوجيهات الربانية ولقد وعي اقبال رحمه الله نصيحة أبيه ومعناها العميق وهو يقول عن نفسه . . . منذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن، واقبل عليه، فكان من انواره ما اقتبست، ومن درره ما نظمت.

وفي رمضان يتبارى كثير من الناس في ختم المصحف مرات ومرات، وآخرون يختمون المصحف في كل شهر أكثر من مرة، ولكن القرآن لا يفعل بنا ما فعل بالصحابة رضوان الله عليهم والقرآن هو هو

(٢) من حديث طويل رواه البخاري ومسلم في صحيحهما.

(٣) آل عمران ٩٢.

(٤) بستان كان النبي ﷺ يدخله ويشرب من ماء طيب منه.

(٥) متفق عليه (انظر رياض الصالحين باب الانفاق مما يجب ومن الجيد).

لم يتبدل وإنما تبدل الناس الذين يقرؤونه ويحملونه . . . ﴿مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا﴾ بشس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴿٦﴾ لقد غدا القرآن في أيامنا هذه للبركة والراحة النفسية، والاستمتاع بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، لا للتطبيق والعمل به، فرب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه، ورب قارئ للقرآن والقرآن يمقته وأصبح القرآن في هذا الزمان للموتى وإنما أنزل لتحى به القلوب الميتة، من الأمور المضحكة المحزنة (وشر البلية ما يضحك) أنك تسمع القرآن يتبدأ به حفلات، وتبدأ به إذاعات، وبرامج التلفاز، ومعظم هذه البرامج يتناقض مع مافيه من الآيات والذكر الحكيم.

ترى هل يمكن أن نستفيد من نصيحة اقبال ووالده لنحول قراءتنا للقرآن من قراءة كثيرة لا تتجاوز الحناجر، إلى قراءة متأنية بصيرة تتجاوز الحناجر إلى القلوب والجوارح فتفعل بها الأعاجيب.

